الفصل الرابع:

التصميمات الاثنوجرافية

Ethnographic Designs

يتناول هذا الفصل النقاط التالية:

- تعريف البحث الإثنوجرافي
- إجـــراء البحث الإثنوجرافي
- تطـــور البحث الإثنوجرافي
- الأنواع المختلفة للإثنوجرافي

– البحث الإثنوجرافي الواقعي – دراسات الحالة

- سمات البحث الإنثربولوجي

– الموضوعات الثقافية. – الجماعة مشتركة الثقافة.

– النماذج المشتركة من السلوك والمعتقدات واللغة.

– مجال العمل. – السياق أو الموقف.

– الوصف، والموضوعات، والتفسير. – رد فعل الباحث.

- الخطوات المتبعة في إجراء البحث الإثنوجرافي
- مثال لدراسة اثنوجرافية
- تقييم البحث الإثنوجرافي

مقدمة:

المعنى الحرفي للفظة "إثنوجرافي"؛ هو: "الكتابة عن مجموعات من الأفراد". فاستخدام هذا التصميم الكيفي، يمكن تحديد مجموعة من الأفراد، ودراستهم في منازلهم، أو في أماكن عملهم، وملاحظة كيف يسلكون؟ ويفكرون، ويتحدثون، ونضع تصوراً كلياً لهذه الجماعة. ويهدف هذا الفصل إلى التعريف بالبحث الإثنوجرافي، وتحديد متى يستخدم، وتقييم سماته الأساسية، وتحديد الخطوات المتبعة في إجراءاته وتقييمه.

ما البحث الإثنوجرافي؟

تتمثل التصميمات الإثنوجرافية في إجراءات بحثية كيفية تهدف لوصف النماذج السلوكية المشتركة لمجموعات مشتركة الثقافة، وتحليلها، وتفسيرها. وتعني الثقافة؛ كل ما له علاقة بالسلوك، والمعتقدات البشرية **(LeCompete, Preissle & Tesch,1993:5)**. فقد تضم اللغة والتقاليد، والبنى السياسية، والاقتصادية، ومراحل الحياة والتفاعلات، وأنماط التواصل ؛ فمثلاً تعد دراسة اكتساب الطلاب للغة الثانية في سياقها الاجتماعي الثقافي الذي تجري به دراسة بالمدخل الاثنوجرافي، حيث تسجيل المقابلات بالصوت والصورة بالفيديو مع المشاركين في سياقات طبيعية خارج الفصل الدراسي **(Dufon,2002)** وحتى يتسنى للباحث فهم نماذج الجماعة ذات الثقافة المشتركة، يقضي الباحث الإثنوجرافي وقتاً طويلاً في المقابلات الشخصية، والملاحظة، وتجميع الوثائق عن الجماعة؛ حتى يتفهم سلوكياتهم الثقافية المشتركة، ومعتقداتهم ، ولغتهم.

وقد أوضح "هامرسلي **Hammersley (1990)** أن البحث الإثنوجرافي يجب أن يضم الملامح الخمسة التالية:

1. سلوكيات الأفراد مجال الدراسة، وتجري وفق سياقات الحياة اليومية، وليس وفق الظروف التجريبية التي يخضعها الباحث للدراسة.
2. يتم تجميع البيانات من مصادر متعددة؛ ومع ذلك تظل الملاحظات والمحادثات غير الرسمية المصدر الرئيس لذلك التجميع.
3. مدخل تجميع البيانات غير المخطط سلفاً؛ إذ لا يسير تجميعها وفق خطة موضوعة مسبقاً.
4. التركيز في البحث يتم على بعد واحد – عادةً- أو على مجموعة من قياسات صغيرة نسبياً وبمقياس محدد.
5. يتضمن تحليل البيانات تفسيراً للمعاني والوظائف للأفعال البشرية، كما يتخذ صيغة الوصف اللفظي والتفسيرات اللفظية.

متى نقوم بإجراء البحث الإثنوجرافي؟

نقوم بإجراء البحث الإثنوجرافي عندما تعمل الدراسة لجماعة ما على توفير فهم لموضوع أكبر. كما تجريه عندما يتوفر مجموعة مشتركة الثقافة تقوم بدراستها – مجموعة استمرت معاً لفترة من الوقت وتحت بعض القيم المشتركة، والمعتقدات، واللغة. فأنت تقوم بتحديد "قواعد" السلوك؛ مثل العلاقات غير الرسمية بين المعلمين الذين يفضلون أماكن محددة ليقضوا فيها نشاطهم الاجتماعي. وقد تكون المجموعة مشتركة الثقافة محدودة الإطار ؛ مثل: (المعلمين، التلاميذ، أو طاقم العمل) أو قد تكون واسعة الإطار؛ مثل:(دراسة مدارس بأكملها، ونجاحها، ومبتكراتها) وقد تقوم على أسرة، أو تكون ممثلة أو موضحة لبعض العمليات الأكبر، أو النشاطات، أو الأحداث؛ مثل: (المشاركة في برنامج تخرج). فالباحث يقوم بالبحث الإثنوجرافي عندما يحظى بمعرفة طويلة المدى بهذه المجموعة مشتركة الثقافة؛ حيث يمكن بناء سجل مفصل لسلوكياتها،

ومعـــتقداتها بحـــد الوقـــت. وقد يكون الملاحظ مشاركاً في الجماعة، أو ملاحظاً لها، لكنه يقوم بتجميع معومات شاملة، ويقابل العديد من الأفراد، ويجمع الخطابات والوثائق لإقامة سجل للجماعة مشتركة الثقافة.

كيف تطور البحث الإثنوجرافي؟

لقد تشكل البحث الإثنوجرافي للشكل الذي يتم ممارسته في التربية فـــي ظـــل علـــم الإنثربولوجـــي "الإنسانيات" الثقافية، وذلك بالتأكيد على الموضـــوعات المـــتعلقة بالكـــتابة عن الثقافة، وتعد الملاحظة والمقابلات الشخصـــية من الإجراءات المعيارية لتجميع البيانات في هذا المجال. كما يهتم بدراسات الحالة (سواء كانت الحالة فرداً أو وحدة ثقافية أكبر).

الأنواع المختلفة للإثنوجرافي

تتعدد الأنواع المختلفة للبحث الإثنوجرافي، لكن الباحث الجديد في هذا المجال يحسن أن يركز على نوعين رئيسين هما:

1) البحث الإثنوجرافي الواقعي Realist Ethnographies

وهـــو مدخـــل مألوف يستخدمه الإنثربولوجيون الثقافيون (Von Maanen, 1988) وهو يعكس شواهد مستقاة من توجه الباحث نحو دراسة الأفراد. فالبحث الإثنوجرافي الواقعي هو إحصاء موضوعي للموقف يكتبه الشـــخص بصـــيغة المتحدث الثالث؛ أي أنه ليس متضمناً في الموقف بل مجـــرد ملاحظ، ويقرر بموضوعية المعلومات المتعلمة من المشاركين في هـــذا المضـــمار بأسلوب قياس لا يتأثر بالتحيز الشخصي، أو الأحكام، أو الأهداف السياسية.

2) دراسات الحالة Case Studies

تعـــد دراسة الحالة نوعاً مهماً من البحث الإثنوجرافي ؛ هذا برغم اخـــتلافها عنه في نقاط كثيرة. فقد يركز الباحثون في دراسة الحالة على

برنامج أو حدث أو نشاط يضم الأفراد و ليس المجموعة (Stake, 1995). كمـــا أن باحثـــي دراسة الحالة عندما يتناولون جماعة بالبحث؛ فقد يولوا اهتمامهم لوصف نشاطات الجماعة بدلاً من تحديد النماذج المشتركة التي تـــتطور فـــي تفاعلات الجماعة بمرور الوقت. وأخيراً فإن باحثي دراسة الحالة لا يهتمون كثيراً بتحديد موضوع ثقافي يختبرونه في بداية الدراسة خاصة من الإنثربولوجيين؛ لكنهم بدلاً من ذلك يركزون على الاستكشاف المتعمق للواقع الفعلي للحالة.

ما سمات البحث الإثنوجرافي؟

تعد السمات التالية محددة للبحث الإثنوجرافي بشكل عام:

- الموضوعات الثقافية.
- الجماعة مشتركة الثقافة.
- النماذج المشتركة من السلوك والمعتقدات واللغة.
- مجال العمل.
- السياق أو الموقف.
- الوصف، والموضوعات، والتفسير.
- رد فعل الباحث.

1) الموضوعات الثقافية Cultural themes

الموضـــوع الثقافـــي فـــي البحث الاثنوجرافي هو موضوع عام، صـــريح، أو ضـــمني، يحظـــى باستحسان عام، أو دعم في المجموعة أو المجـــتمع. ولا يهـــدف هـــذا الموضوع –بطبيعة الحال– لتضييق حدود الدراسة؛ بل إنه على العكس يصبح عدسة مكبرة يستخدمها الباحثون عندما يـــبدءون في الدخول لدراسة الجماعة، ويبحثون عن تفسيرات لها. ويمكن وجـــود تلـــك الموضـــوعات الثقافـــية فـــي النصـــوص المقدمة في علم الإنثربولوجـــي الثقافي، أو في قواميس المفاهيم في الإنثربولوجيا الثقافية.

ويمكن استنتاجها من وضع الموضوع الثقافي في التربية كأن يعلن المؤلف عنها في عنوان أو في بداية الدراسة. وقد تجدها في سؤال البحث على أنها الظاهرة الأساسية؛ مثل: الاستمرارية في مقررات التعليم من بعد، أو نمو المهارات الاجتماعية عند طلاب البيئات الصحراوية.

2) الجماعة المشتركة الثقافة A Culture- Sharing Group

يتعلم الباحثون الإثنوجرافيون من دراسة جماعة مشتركة الثقافة في موقع واحد. ففي دراستهم للجماعة يقومون بتحديد موقع واحد "فصل في المرحلة الابتدائية على سبيل المثال" ويحددون مجموعة في داخله "مجموعة القراءة مثلاً" ويقومون بجمع البيانات عن هذه المجموعة؛ مثل: ملاحظة فترة القراءة. ويؤدي ذلك للتمييز بين البحث الإثنوجرافي عن الأشكال الأخرى للبحث الكيفي "مثل البحث السردي" الذي يركز على الأفراد وليس المجموعات. وتتألف الجماعة مشتركة الثقافة في البحث الإثنوجرافي من فردين أو أكثر يتمتعون بسلوكيات، ومعتقدات، ولغة مشتركة.

3) النماذج المشتركة من السلوك والمعتقدات Shared Patterns of Behaviors, beliefs & Language

يبحث الإثنوجرافيون عن النماذج المشتركة من السلوك والمعتقدات واللغة التي تتبناها الجماعة مشتركة الثقافة. وتتألف تلك السمة من عدة عناصر في داخلها:

أولاً: تحتاج الجماعة مشتركة الثقافة لتبني نماذج مشتركة يمكن للباحث الإثنوجرافي ملاحظتها وفهمها؛ فالنموذج المشترك في البحث الإثنوجرافي هو تفاعل اجتماعي مألوف يستقر كقواعد ثابتة، وتوقعات للجماعة.

ثانـــياً: تشترك الجماعة في أي من السلوكيات، أو المعتقدات، أو اللغة، أو تشترك فيها كلها.

ويـــنجم عـــن تلك النماذج المشتركة عديد من الأسئلة التي يحتاج الباحث الإثنوجرافي الإجابة عنها في دراسته؛ ومن هذه الأسئلة: ما المدة اللازمة لبقاء الجماعة معاً حتى تتشارك في شيء ما؟ وما من شك أنه كلما طالت مدة بقاء الجماعة معاً، تبنى الأفراد المزيد من السلوكيات المشتركة، وأســـاليب التفكـــير، كما يزداد الأمر سهولة للباحث حتى يلاحظ النماذج المشتركة ويفهمها. ومن الموضوعات الأخرى: ما إذا كانت النماذج مثالية **Ideal** "أي ما ينبغي أن يكون" أم أنها واقعية **actual** "أي ما هو كائن" أم احتمالـــية **projective** "أي مـــا يحتمل أن يكون قد حدث". ففي خلال قيام الباحث الإثنوجرافي بالملاحظة أو بالمقابلات الشخصية، قد يتضح ذلك من البيانات.

4) العمل الميداني Field work

يذهـــب الباحـــث الإثنوجرافـــي للحقل محل الدراسة، ويعيش مع الأفـــراد، أو يـــزورهم باســـتمرار، ويـــتعلم ببطء الأساليب الثقافية التي تتصـــرف، أو تفكـــر مـــن خلالها الجماعة محل الدراسة. ويقصد بالعمل الميداني في البحث الإثنوجرافي: أن الباحث يجمع البيانات في الموقع الذي يـــتواجد فيه المشاركون، وحيثما يمكن أن تتم دراسة نماذجهم المشتركة. ويتضمن تجميع البيانات ما يلي:

- **Emic Data**: المعلومـــات المســـتمدة من المشاركين في الدراسة، وتشـــير كلمـــة **emic** للمفاهـــيم ذات المرتبة الأولى؛ مثل: اللغة المحلية، والمفاهيم، وأساليب التعبير المستخدمة من أفراد الجماعة ذات الثقافة المشتركة.

- **Etic data**: المعلومات التي تمثل تفسير الباحث الإثنوجرافي لمنظورات المشاركين. وتشير نقطة **etic** إلى المفاهيم ذات المرتبة الثانية؛ مثل اللغة التي يستخدمها عالم الاجتماع، أو التربوي ليشير إلى نفس الظواهر المذكورة من المشاركين.
- **Negotiation Data**: بيانات التفاوض وتتكون من المعلومات التي يتفق الباحث والمشاركون على استخدامها في الدراسة. ويحدث التفاوض في مراحل مختلفة من البحث؛ مثل: الاتفاق على إجراءات الدخول لموقع البحث، والاحترام المتبادل بين الأفراد في الموقع، ووضع خطة للرجوع أو التبادل مع الأفراد.

5) الوصف والموضوعات والتفسير Description, Themes & Interpretation

يقوم الباحث الإثنوجرافي بوصف الجماعة ذات الثقافة المشتركة، وتحليلها، ويضع تفسيراً عن النماذج المنظورة والمسموعة. وفي خلال تجميع البيانات يبدأ الباحث الإثنوجرافي في تصور الدراسة ويتألف ذلك من تحليل البيانات من أجل وصف الأفراد والمواقع للجماعة ذات الثقافة المشتركة؛ حيث يحلل نماذج السلوك واللغة والمعتقدات ويصل لبعض النتائج عن المعنى المتعلم من دراسة الأفراد والمواقع **(Wolcott, 1994)**.

- الوصف في البحث الإثنوجرافي **Description**: وهو وصف مفصل للأفراد والمشاهد بهدف تصور ما يحدث في الجماعة ذات الثقافة المشتركة. ولابد أن يكون هذا الوصف مفصلاً وشاملاً، ويضع محددات معينة. وهو يفيد في وضع القارئ بشكل واضح في الموقف، ونقل القارئ للمشهد الفعلي، وجعله حقيقة.

- ومـــا يزال الانفصال بين الوصف وتحليل الموضوع غير واضح المعـــالم. فتحلـــيل الموضوع يقف بعيداً عن إقرار الحقائق لوضع تفســـير للأفـــراد والنشاطات. ولتفهم ذلك نشير إلى أدوات تحليل بـــيانات الموضـــوع فـــي البحـــث الإثنوجرافي **thematic data analysis** إذ يتألف من تحديد كيفية عمل الأشياء، وتمييز الملامح الأساسية للموضوعات في الموقف الثقافي.

- وبعـــد الوصـــف والتحليل يأتي دور التفسير؛ وخلال التفسير في البحـــث الإثنوجرافـــي **interpretation** يضـــع الباحث الحقائق، ويتوصل للنتائج عما تم تعلمه. وتلك المرحلة من التحليل هي أكثر المـــراحل ذاتـــية؛ فالباحث يربط الوصف والموضوع في تصور أكـــبر لما تم تعلمه، وهو غالباً يعكس مزيجاً من التقييم الشخصي للباحـــث، والعـــودة للأدبيات في الموضوع الثقافي، والاضطلاع بمزيد من التساؤلات القائمة على البيانات.

6) السياق أو الموقف Context or setting

يقـــوم الباحث الإثنوجرافي بعملية الوصف وتحليل الموضوعات والتفسير في ظل سياق أو موقف للجماعة ذات الثقافة المشتركة. والسياق بالنسبة للبحث الإثنوجرافي هو الموقف، أو الموضع، أو البيئة التي تحيط بالجماعة الثقافية محل الدراسة. وهي بيئة مترابطة ومتداخلة، وتتكون من كثير من العوامل؛ مثل: التاريخ، والعقيدة، والسياسات، والبيئة. وقد يكون هـــذا الســـياق موقعـــا ماديا؛ مثل: وصف مدرسة، أو حالة مبنى،أو لون جدران الفصل، وقد يكون سياقا تاريخيا لأفراد الجماعة. وقد يكون سياق اجتماعـــيا للأفـــراد؛ مثل: وضعهم المهني، أو حراكهم الجغرافي، كما قد

يكون سياقا اقتصاديا، ويتضمن مستويات الدخل، خلفية الطبقة العاملة، أو الملونين، أو النظم المالية التي تبقى على الأفراد تحت خط الفقر.

7) رد فعل الباحث Research Reflexivity

يشـــير مفهـــوم رد الفعل **reflexivity** في البحث الاثنوجرافي إلى كـــون الباحـــث مدركاً، ومتعمقاً للنقاش عن دوره في البحث بشكل يحترم الموقع والمشاركين؛ ونظراً لأن البحث الإثنوجرافي يستغرق وقتاً مطولاً فـــي موقع الدراسة؛ فإن الباحث يكون قد أدرك أثر الموقع والأفراد عليه. فهو يتفاوض حول المدخلات مع الأفراد الأساسيين، ويخطط لترك الموقع بشكلٍ غير مربك؛ لذلك من الضروري أن يحدد الباحث الإثنوجرافي لنفسه نقطـــة ارتكـــاز أو وجهـــة نظر؛ وهو بذلك يتحدث مع زملائه الباحثين، ويتشارك الخبرات معهم ويذكر كيف أن تفسيراتهم تشكل التعايشات حول المواقع، والجماعات ذات الثقافة المشتركة.

ما الخطوات المتبعة في إجراء البحث الإثنوجرافي؟

قـــدم "سبرادلي" **Spradley (1980)** تتابعاً من اثنتى عشرة مرحلة لإجـــراء البحث الإثنوجرافي وفق الموضح بشكل (4-1) ويمكن بلورتها في خمس خطوات على النحو التالي:

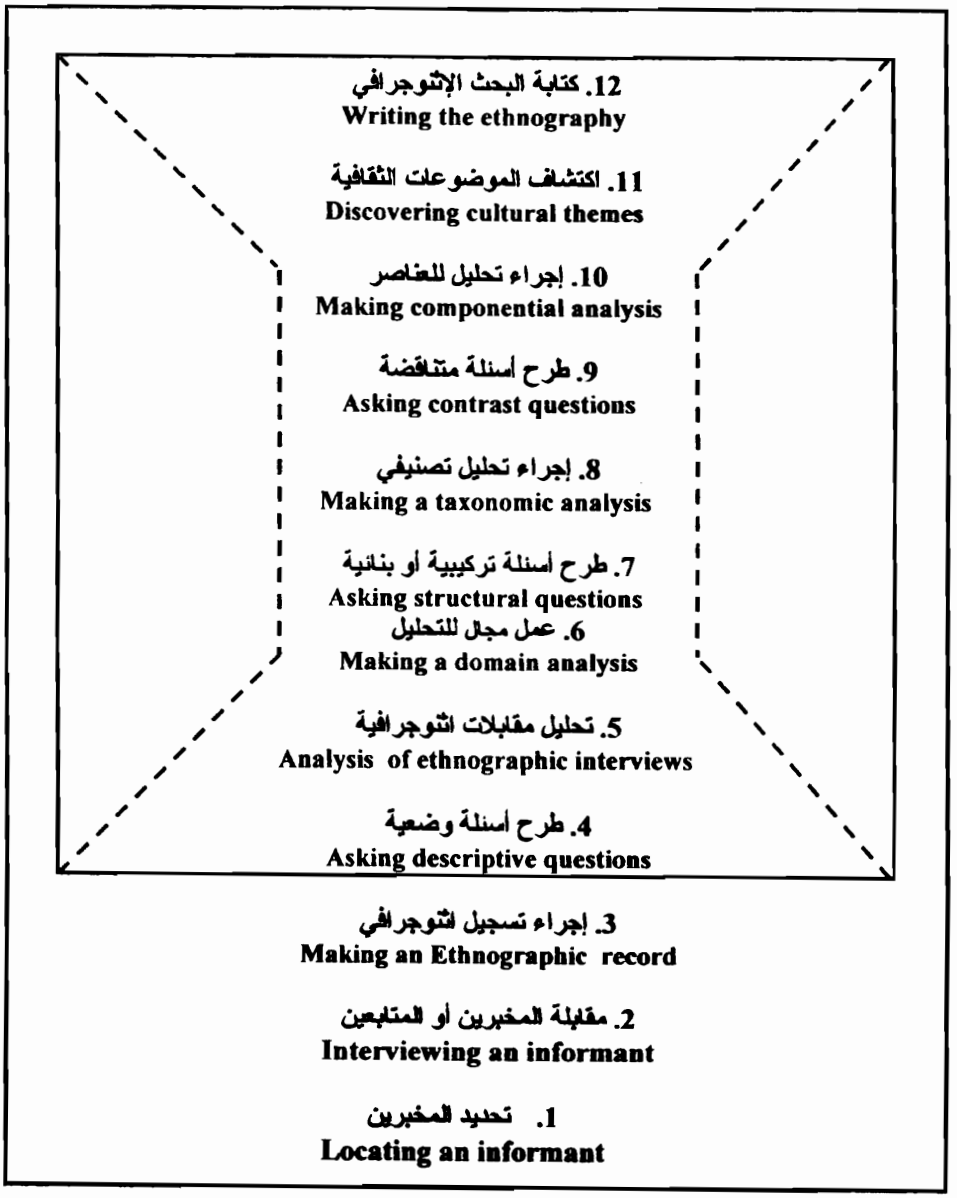

شكل (4-1) خطوات إجراء البحث الإثنوجرافي

1- تحديد المقصد من التصميم ونوعه وربط المقصد بمشكلة البحث.

تعد هذه الخطوة من أهم وأول خطوات إجراء البحث؛ وتتمثل في تحديد السبب الذي يدفع الباحث للقيام بالدراسة التي تشكل شكل التصميم الذي يخطط لاستخدامه، وكيف ارتبط مقصده بمشكلة البحث. ويجب تحديد تلك العوامل في الأشكال الثلاثة للبحث الإثنوجرافي ودراسات الحالة. ويختلف المقصد من البحث ونوعه بشكل كبير تبعاً لنوعية البحث الذي سيجرى سواء كان واقعياً أم دراسة حالة، أم بحثاً ناقداً.

- فبالنسبة للبحث الإثنوجرافي الواقعي: يكون التركيز منصباً على فهم الجماعة ذات الثقافة المشتركة، واستخدام الجماعة للوصول إلى فهم أعمق للموضوع الثقافي.
- وبالنسبة لدراسة الحالة: ينصب التركيز على تنمية فهم عميق للحالة؛ مثل: الحدث، أو نشاط، أو عملية. وغالباً ما نجد ذلك في التربية متمثلاً في دراسة الفرد، أو مجموعة من الأفراد؛ مثل التلاميذ، أو المعلمين. والاعتبار الأهم هنا هو كيفية استخدام الباحث للحالة؛ حتى يفهم الموضوع، أو الحصول على معلومات للمقارنة بين عدة حالات.
- وفي البحث الإثنوجرافي الناقد: يتغير المقصد بشكل واضح عن تلك المقاصد المستخدمة في البحث الواقعي، وفي دراسة الحالة، فهو يسعى لمواجهة عدم المساواة في المجتمع أو المدارس، والتخطيط لاستخدام البحث بهدف الدفاع والمناداة بالتغيير، ويحدد موضوعاً محدداً لدراسته؛ مثل: القمع، والسيادة، وعدم المساواة.

2- مناقشة الاعتبارات المحددة والاستحسان

تتبع نفس الإجراء للأنماط الثلاثة للتصميم؛ حيث يكون الباحث بحاجة لتلقي الاستحسان من الجهة المؤسساتية المراجعة. كما أنه بحاجة لتحديد نوع البيئات المستهدفة المتاحة، والتي تجيب بالشكل الأمثل عن تساؤلات البحث. ففي تلك العملية يقوم الباحث بتحديد موقع البحث، ثم يحدد حارس البوابة الذي يوصله للموقع والمشاركين للدراسة، وفي كل الأحوال يكون الباحث بحاجة لضمان رؤية مسبقة لاحترام الموقع، والتصميم النشط في الدراسة لكيفية مشاركة الأفراد وتفاعلهم في الموقع.

3- استخدام الإجراءات المناسبة لتجميع البيانات

تتمتع التصميمات الثلاثة للبحث الإثنوجرافي بملامح مشتركة مع التأكيد على تجميع البيانات بشكل متسع، واستخدام إجراءات متعددة لتجميع البيانات، والانخراط النشط للمشاركين في العملية.

- ففي البحث الواقعي: يكون التركيز على تدوين الملاحظات، وملاحظة المشهد الثقافي. لذلك تكون المقابلات الشخصية، والحقائق الفنية؛ كالرسم، والتخيل، والترميز لهم أهميتهم كأشكال للبيانات، فإن البيانات يمكن أن تساعد في تطوير الفهم العميق لنماذج الجماعة الثقافية.
- وفي دراسة الحالة: يكون الهدف متجها نحو الوصول لفهم عميق للحالة أو الموضوع؛ ولذلك يجمع الباحث كل ما يقع تحت يديه من أنواع البيانات لزيادة هذا الفهم بأكبر قدر ممكن.
- أما في البحث الإثنوجرافي الناقد فإن التركيز على تجميع البيانات يكون أقل شدة في المجال أو حتى مقدار البيانات، في حين ينصب الاهتمام الأكبر على التعاون النشط بين الباحث والمشاركين أثناء الدراسة.

4. تحليل البيانات وتفسيرها في ظل التصميم

يـنخرط الباحث – في كل التصميمات الإثنوجرافية– في العملية العامة للقيام بالوصف والتحليل لبيانات الموضوعات، والقيام بتفسير معنى المعلومـات. وتلك هي الإجراءات التحليلية والتفسيرية للبيانات المتواجدة فـي الدراسات الكيفية. وبالرغم من ذلك فإن الأنواع المختلفة للتصميمات الإثنوجرافية يختلف في تناولها لتلك الإجراءات.

- ففـي التصميم الإثنوجرافي الناقد: يحتاج الباحث لإحداث التوازن بيـن الوصف، والتحليل، والتفسير؛ حيث يصبح كل منها عنصراً مهماً في التحليل.
- وفـي دراسـة الحالـة: يتتبع التحليل أيضاً الوصف، ويأتي بعده التحليل، والتفسير، إلا أن إجراءات التحليل تتنوع اعتماداً على ما إذا كـان الباحث يتناول حالة واحدة، أم حالات متعددة. فالإجراء النموذجـي لدراسـة الحالة للحالات المتعددة يبدأ بتحليل كل حالة بشـكل منفصـل، ثـم إجـراء تحليل عبر الحالات بهدف تحديد الموضوعات الشائعة والمختلفة بين كل الحالات.

5- كتابة التقرير بشكل يتماشى مع التصميم

يـتم كـتابة البحـث الإثنوجرافـي الواقعـي كتقرير موضوعي للمعلومـات المـتعلقة بالجماعـة ذات الـثقافة المشتركة. فرؤى الباحث الشخصية وتحيزه موجودان في ظل تلك الخلفية، ولابد أن تشير المناقشة فـي نهاية الدراسة إلى مدى إسهام البحث في المعرفة المتعلقة بالموضوع الثقافي القائم على فهم النماذج المشتركة من السلوك، أو التفكير، أو اللغة للجماعـة ذات الثقافة المشتركة، في حين أن دراسة الحالة قد تركز على الوصـف المفصـل للحالة؛ حيث يمكن للباحث كتابة دراسات حالة كاملة ليركز على الوصف بدلاً من تطور الموضوع. أما في البحث الإثنوجرافي

الـــناقد فـــإن الباحث يتوصل للنتائج والتقارير، ويختتمها بالموضوع الناقد الذي بدأ به دراسته، ويوضح كيف أنه والمشاركين قد تغيروا أو استفادوا من البحث.

مثال: لدراسة اثنوجرافية

يـــدور موضوع هذه الدراسة حول "اختيار مدير المدرسة الابتدائية"، وتتحدد في الخطوات التالية:

1- **مقدمة Introduction** وتـــبدأ بوصـــف مباشـــر لمـــا مر به الأفراد المرشـــحون لمنصب مدير مدرسة ابتدائية أثناء إجراء مقابلات معهم من قـــبل اللجـــنة المختصـــة بالاختـــيار، ثم يشار إلى أنه سوف يتم دراسة اثنوجرافية تعتمد على حالة المديرين بشكل متعمق.

2- **مسوغات استخدام المدخل الاثنوجرافية The Ethnographic Approach** يـــبدأ هذا الجزء بوصف المنهج المستخدم في الدراسة؛ الذي يضـــم المدخل الاثنوجرافية؛ ويقوم على تطبيق هذا الوصف النظري على دراسته؛ ومن ملامح المنهج الاثنوجرافية النقاط التالية:

- أن مهمـــة الباحث الاثنوجرافية تتمثل في تسجيل السلوك البشري فـــي سياقه الثقافي؛ أي أن الدراسة الاثنوجرافية الجيدة تقدم وصفاً لعملية ثقافية؛ مثل: حقوق الإنسان، وعمل المرأة، أو تقدم طريقة حياة مجموعة من البشر "تعليم الفتيات في النجوع والقرى".
- وتعـــد الدراسة الحالية دراسة اثنوجرافية؛ لأنها تركز على المدير بوصـــفه عضـــواً مـــتفاعلاً مع نظام ثقافي، ولأن تركيز الدراسة اجتماعـــي، وثقافي، وليس نفسياً؛ فإن الدراسة تركز على المدير، وعلى من يتفاعل معهم في سياق حياته المهنية، ويضم هذا أسرته، والطـــلاب، والمدرسين، والإداريين، وأعضاء الأجهزة التنفيذية، والشـــعبية، والسياســـية بالمحافظة. وتعد هذه التفاعلات مكونات

الـــنظام الثقافـــي، وكما أن فهم هذه التفاعلات لمدير واحد يساعده على فهم مكونات النظام بأكمله.

- وهناك طريقة أخرى يمكن أن تتبع في البحث الاثنوجرافي؛ وهي أن يـــتخذ الباحـــث موقعاً في الميدان، ويقوم بالدراسة عن طريق المشـــاركة؛ ولكن هناك قيود على موضوعية الباحث عندما يكون مشتركاً في الميدان.
- ويمكن أيضاً الاعتماد على الأدبيات المرتبطة بالإداري المدرسية كمصـــدر مـــن مصادر المعلومات؛ ولكن هناك قيد يتمثل في أن الأدبيات غالباً ما تكون توصيفية، وليست وصفية.
- وهـــناك أسلوب آخر تمثل في الاعتماد على البيانات المستقاة من التقارير الشخصية للأفراد عن سلوكهم.

3- **الطرق المستخدمة في الميدان Methods in Field work** تمـــيل الطـــرق المســـتخدمة إلـــى الاعتماد على الدراسة الميدانية، ويستخدم الباحث في الدراسة الميدانية ثلاث طرق أساسية؛ تتمثل في:

1. **العد Enumeration**: وذلك لتوثيق تكرار البيانات.

وتضم:

- تجمـــيع الأوراق الرســـمية المـــتداولة بيـــن المدرسة، والطلاب، والآباء؛ ويمكن الحصول على ذلك من خلال قيام السكرتير بعمل نسخة من كل المكاتبات.
- تجمـــيع نســـخ من السجلات الخاصة بالقيد، وتعليق المدير حول الأحداث.

- تجمـيع البيانات الخاصة بالوقت، والنشاط عن طريق ملاحظة قد تأخذ دقيقة واحدة، وعلى فترات متكررة خلال أسبوعين؛ تشمل ما يقوم به المدير، ومع من يتعامل.
- تصميم خريطة، والتقاط صور للمدرسة والحي الموجود به.

2. **الملاحظة المباشرة Participant observation**: لوصف الأحداث.

- تعد الملاحظة المباشرة جوهر الدراسة الاثنوجرافية.
- يقوم الباحث بالملاحظة دون المشاركة الفعلية في النشاط، وقصر الباحث مشاركته الفعلية هنا على التفاعل مع العاملين أثناء الطعام، أو تناول المشروبات.
- قيام الباحث بتدوين الملاحظات عن كل شيء؛ حتى يعتاد الجميع قيامه بذلك بغض النظر عن الموضوع الذي يتحدث عنه الأفراد.
- ملاحظة المدير في سياقات مختلفة؛ تشمل الملاحظة كملاحظة المدير في المدرسة أثناء القيام بالعمل، والملاحظة لاجتماعات مجلس الآباء، واجتماعات الإدارة التعليمية، واجتماعات مع القيادات التنفيذية والشعبية، والسياسية بمحافظة ما، ويراجع التدريب أثناء الخدمة، ومحاولة الملاحظة في السياق الاجتماعي للأسرة، وإن كانت هناك صعوبة في هذا المجال الأخير.

3. **المقابلات Interviews**: بغرض الوصول إلى القواعد الحاكمة.

- للمقابلات أنواع متعددة؛ فقد تكون هناك مقابلات مسجلة لمدة ساعة لكل مقابلة، وقد تكون منظمة لكن مفتوحة النهاية، وتشمل معلومات عن حياة المدير الأسرية، وقد تحتاج هذه المقابلات لجهد كبير في الإعداد لها، وتحليلها؛ لكنها تقدم معلومات قيمة عن حياة المدير.

- هناك طريقة أخرى تتمثل في قيام الطلاب بكتابة ما يتذكرونه عن المدير دون كتابة أسمائهم، وقد قام الباحث باقتراح بعض العبارات التي يمكن أن يستعين بها طلاب الصف الخامس للكتابة؛ مثل: "لا أنسى ..." "ذات مرة ...." "إن المدير يتصف بـ...."
- وهناك مقابلات كثيرة مع المدير قام فيها المدير بالحديث حتى عن الأحداث التي لم يحضرها الباحث، وكانت هناك كثير من الزيارات بين المدير والباحث.
- وانتهى الباحث بإجراء استبيان تعرف من خلاله على بيانات من أعضاء التدريس في المدرسة تشير إلى التفاعل بينهم وبين المدير.

نتائج الدراسة الاثنوجرافية (حول اختيار مديري المدارس)

(تم تقديم وصف حول اختيار المدير "إبراهيم" مديراً لإحدى المدارس)

- عمره 48 عام، كان مرشحاً من خارج المنطقة التعليمية، كان يجري دراسة دكتوراه في التربية، كان لديه قدرات إدارية متعددة حيث عمل كمدير لرياض الأطفال، ونائب مدير ابتدائي. وفي المقابلة التي أجريت معه تم سؤاله عما إذا كان يرغب في الاستمرار في المنطقة التعليمية بعد حصوله على الدكتوراه فإنه يرى أنه يستطيع أن يستمر في منطقة تعليمية بهذا الحجم، وأجاب أيضاً أنه لا يستطيع إكمال الدكتوراه. وقام أحد المديرين بالدعابة معه قائلاً:"أليس وظيفة المدير هي أقصى ما يمكن أن تصل إليه؟ وقال عنه أحد المرشحين- وكان مدرساً تحت إدارته- أنه سيكون مديراً جيداً. وكانت اللجنة غير مهيأة لقبوله؛ وذلك لتقدم سنه حيث كان في الثامنة والأربعين، وتدعم لديهم هذا الشعور عندما عرفوا برغبته في الانضمام إلى منطقتهم

التعليمـــية لقربها من الجامعة التي يدرس بها. وفي النهاية عند تقييم المرشـــحين قالـــت اللجنة في تقريرها أن الرجل يفتقد الالتزام بدور المدير، وهناك إمكانية في تنقله وخاصة إذا أنهى الدكتوراه، ومن ثم حصل على ترتيب متدنٍ.

4- المناقشة والتعليقات Discussion & Comments

قـــام الباحـــث فـــي هذا الجزء بمناقشة النتائج التي توصل إليها، ووضعها في ثلاث محاور أساسية؛ تتمثل في:

أ) **غـــياب المعـــرفة المهنية ذات الصلة بدور المدير:** لاحظ الباحث أثـــناء إجراء الدراسة عدداً من المواقف التي أظهرت عدم معرفة المديريـــن لدورهـــم، أو ما يجب أن يفعلوه في موقف معين. وبدا ذلـــك مـــن خـــلال تساؤلهم عما يجب أن يتم إزاء موقف معين. ويـــرجع نقـــص الفهم بدور المدير إلى نقص المعرفة المهنية، أو المهـــارة التي تميز المدير عمن يديرهم. ويشار إلى هذه المشكلة "مشـــكلة العمل" من خلال قاعدة معرفية محدودة، ويمكن ملاحظة هـــذه المعـــرفة المحـــدودة في مظهرين هما: غياب المصطلحات المهنية من حديث المديرين، والمظهر الثاني هو نقص الإجراءات المـــنظمة التي يستخدمها المديرون في تقييم المرشحين وترتيبهم لوظيفة مدرس.

ب) **الـــتقدير للمشـــاعر الشخصـــية:** أظهرت الدراسة غياب التقويم الرســـمي من قبل المديرين للمدرسين، وظهر ذلك في المزاح بين المديرين، وبعضهم البعض عن عملية إعداد التقارير طوال العام، وظهـــر أيضاً في ظهور القلق على المديرين عند اقتراب الموعد المحـــدد لتقديم هذه التقارير، وظهر من خلال محادثات المديرين، وتأثرهم بمشاعرهم الشخصية أثناء التقييم، ويرجع ذلك إلى العامل

السابق حيث إن نقص المعلومات أو المعرفة المهنية تدفع المديرين إلى الاعتماد أكثر على الجانب الوجداني في تقديم مثل هذه التقارير.

ج) **التوجه نحو تقليل تنوع السلوك:** أظهرت الدراسة أنه عندما يطلب من المديرين طرح تفضيلاتهم، أو القيام باختيار الشخص الذي يمكن أن يؤدي إلى تكوين أو تقليل تنوع في جانب من جوانب المدرسة، فإنهم يظهرون ميلاً إلى تقليل التنوع، أو المحافظة على القديم، ويكون اهتمامهم نحو السيطرة على الموقف عن طريق تدعيم النظام القائم بدلاً من الاهتمام أو حتى السماح بظهور تغير في هذا النظام.

5- **الخاتمة:** وفيه يختم الباحث الدراسة بعرض دور المدير في ضوء التركيز على مفهوم التغير. ويشير هنا إلى جودة فكرة التغيير في الدوائر التعليمية؛ والتي تتمثل في الفكرة التي تدعو إلى مناقشة القديم، ومحاولة إحداث التطوير، ووصف المدير على إنه الأداة التي تنفذ هذا التغير بوصفه المسئول عن المدرسة، وفي المقابلات الرسمية للمديرين في هذه الدراسة أظهر المديرون قناعتهم بذلك بل والتزامهم الشخصي بفكرة التغيير والتطوير.

والمدرسة الابتدائية على وجه الخصوص بطبيعة الحال تتعرض لتغير مستمر في المدرسين، والعاملين، والمناهج، والمدير نفسه يتعرض للتغير في حياته، ومع ذلك يحاول قدر الإمكان – في المواقف العملية- أن يقلل من التغيير؛ حتى يحافظ على استقرار المجموعة التي يديرها.

كيف يتم تقييم البحث الإثنوجرافي؟

تـبدأ معايير تقييم البحث الإثنوجرافي بتطبيق المعايير المستخدمة في البحث الكيفي، ثم وضع بعض العوامل المحددة في الاعتبار للوصول إلـى بحث اثنوجرافي ملائم؛ حيث يجب على الباحث الاهتمام بالتساؤلات التالية عند قراءته لبحث اثنوجرافي، أو مراجعته لدراسة أجراها:

- هل تم تحديد الجماعة ذات الثقافة المشتركة أو الحالة بوضوح؟
- هل النماذج محددة للمجموعة أو الحالة؟
- هل الجماعة أو الحالة موصوفة بالتفصيل؟
- هل تعلم ما يتعلق بالسياق المحيط بالجماعة أو الحالة؟
- هل يقوم المؤلف بعكس (تأمل) دوره في الدراسة؟
- هل هناك تفسير أوسع قائم لمعنى النماذج أو الحالة؟
- هل يتدفق التفسير بشكل طبيعي من الوصف والموضوعات؟
- من خلال قراءة البحث الإثنوجرافي؛ هل يشعر القارئ بكيفية عمل الثقافة من وجهة نظر المشاركين أو الباحثين؟
- هـل قـام المؤلـف بفحص الدراسة بدقة باستخدام إجراءات مثل التـنويع بيـن مصـادر البـيانات أو إرجاع الدراسة مرة أخرى للمشاركين لمراجعتها؟